آخرُ نَهَار فِي العَالَم

عنوان الكتاب : أخر نهار فى العالم
المؤلفة : سمر طاهر
تصحيح لغوى :عبد الهادي عباس
رسوم : توفيق
تصميم وإخراج فنى : حسن عصام
رقم الإيداع : ٢٥٨٦٠ / ٢٠١٨
ردمك : 978-977-6549-85-2
الطبعة الأولى : ديسمبر ٢٠١٨

رئيس مجلس الإدارة: شريف الليثي

دار تويا للنشر والتوزيع

dartoya2015@gmail.com
دار تويا للنشر و التوزيع Dar.toya
@Dar_Toya
Dar.toya
(+2) 01202222098
٣٥ شارع النصر – المعادي – القاهرة – مصر

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

آخرُ نَـهَار فِي العَالَم

«رواية للناشئين»

سَمَر طَاهِر

تويا
دار تويا للنشر والتوزيع

إهداء:
إلى
ليلى، ونادية.

(١)

«صَباح»، تلك الفتاةُ الجميلةُ التي تبلغُ من العمرِ عشرة أعوامٍ كانت لا تُحب اسمها أبدًا!

عندما كانت صغيرةً جدًّا قالت لأمها: «أريد أن أغيِّر اسمي.. هناك أسماءٌ كثيرةٌ أحبها أكثر.. سندس، وهالة، وقمر الزمان.. حتى شقيقتي «ليلة» اسمُها أجمل من اسمي!»

قالت لها والدتها «سحر» إنها غيرُ قادرةٍ على ذلك..

«صحيح أن لديَّ قوةً خارقةً لكنني لا أستطيع أن أحقق لك هذا الأمر بالذات.. فالجميعُ يعرفون اسمك ومن الصعب إقناعهم جميعًا بمنادتك باسمٍ آخر!

كما أن صباح هو الاسم الذي اخترته أنا لكِ بعد تفكيرٍ عميقٍ.. فكيف لا تحبينه؟!»

عندما كبرتْ صباح وعرفت الحروفَ والأرقامَ والكلماتِ، قالت لأمها مجددًا إنها لا تُحب اسمها.. سألتهَا أمها عن سبب عدم حبها له.. فكَّرت صباح قليلاً، وقالت:

«لا أحب حرف الصَّاد، لأنه مُزعجٌ جدًّا عندما أنطقه، ولذلك فأنا لا أحب الصُّندوقَ القديمَ الذي في غرفتي، ولا أحب نبات الصَّبار في

حديقةِ منزلنا، هل رأيت يا أمي كم أن حرف الصَّادَ قبيح؟!»

سألتهَا أمها: «لكنك تُحبين الصَّيد بالصِّنارة مع والدك.. هل نسيتِ ذلك؟!

أنت لا تعرفين بماذا تُجيبين، وأنا غير مُقتنعة بما تقولين»..

«ربما هناك سببٌ آخر لا أعرفه، لكن ما أعرفه هو أنني لا أحب اسمي!» قالت صباح.

كبرت صباحُ وأصبحت في العاشرة من عُمرها، وأصبحت لها عاداتٌ وهواياتٌ وتفضيلاتٌ.

وصباح تعرفُ أنها لا تُحب النهار وتُفضل الليل عليه.. فهي تعيشُ في مدينة «حران» الحارة جدًّا.. نهارها مُشمس، وشمسها القوية تجعل جلد بشرتها أحمر اللون وتصيبها بالحكة.

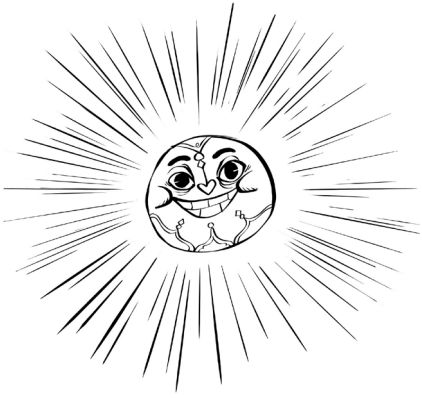

ولأنها تُصبح «حرَّانة» جدًّا بالنهار، فكانت تُفضِّل السهر.. وتُحب القمر ومشاهدته، كما تتكلم معه أيضًا.. ولا تستيقظ مبكرًا أبدًا ولهذا السبب فهي تدخل في مشكلات مع والدها.

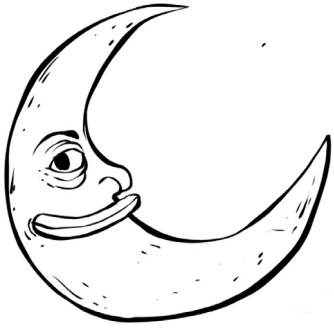

فوالدها يبدأ في «عجين» الخبز كل صباح في وقتٍ مبكرٍ.. وهي عملية شاقة جدًا يطلب والدها من الجميع أن يُساعدوه فيها.. وصباح بالفعل تُحاول أن تفعل ذلك..

لكن لأنها تسهر لوقتٍ متأخرٍ فتكون متعبة جدًا في النهار.. فتتثاءب وتترك العجين حتى يفسد..

حتى إن وجهها بالكامل قد امتلأ بالعجين عندما وقع رأسها في طبق «العجن» ذات يوم!

وقد غسلته يومها بصعوبة؛ ومما زاد الأمر صعوبةً أن المياه العذبة قليلة جدًا في مدينة «حران».

وصباح لا تتذكر أنها كانت سعيدة في النهار أبدًا.. ومما يزيد تعاستها أن اسمها نفسه يعني «النهار».. فكأنه لا يكفي أنها لا تُحب حرف الصَّاد.. فهي أيضًا لا تُحب الصباح نفسه!

الصباح الذي تشرق فيه الشمسُ الحارقة وتُغرد فيه العصافير! فكيف لها أن تحب اسمها الآن وقد علمت معناه أيضًا؟!

لذلك عندما مرَّت السنوات وظل الوضع كما هو، طلبت صباح من أمها «سحر» أن تجد لها حلاًّ.. فإذا لم يكن من الممكن أن تُغير اسمها.. فعلى الأقل يمكنها أن تغيِّر شعورها السيئ في بداية كل نهار.

«أنتِ لك قدراتٌ خارقةٌ يا أمي، وقد حولتِ بقدراتك الخاصة ضفدعًا في حديقتنا الخلفية إلى دجاجةٍ لنأكلها!

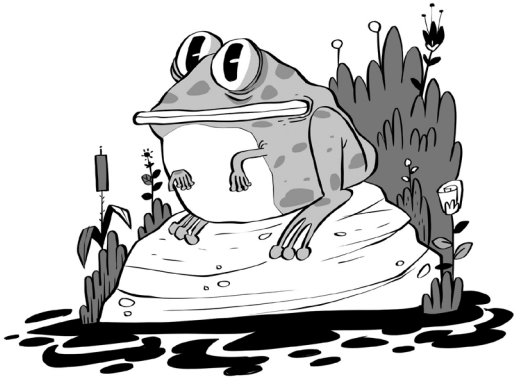

كما جعلتِ الأمطار التي تهطل في الشتاء الماضي بنفسجية اللون لتليق مع فستانك الذي أعددته ليوم مولدك!

فلماذا لا تجعلين كل حياتي ليلاً؟!

فأنا أحب أن يطول الليل، لأن ليلة واحدة لاتكفي.. لأنني أريد أن أعد النجوم..

فكل ليلةٍ أبدأ في فعل ذلك، ولكنني أشعرُ بالنعاسً قرب الفجر، قبل أن أنتهي من العد!

وعندما أفيقُ في وسط النهار أفاجأ أنه لا توجد نجمة واحدة قد بقيت في انتظاري.. أشعرُ بغضبٍ شديدٍ وأجري نحو الحديقة كي أحدق في السماء فربما أرى النجوم في ضوء النهار.. لكن كل ما يُصيبني هو المزيد من الجنون لاختفاء تلك النجوم و»حرقان» في عيني بسبب الشمس الحارقة.. وكل يوم أتعهد أنني لن أجعلَ نجمةً واحدةً تفلت مني عندما يأتي المساء! وكل مساء أبدأ في العدِّ وفجأة ينقلني النوم إلى النهار كأنني ركبت القطار السريع.. كم أكرَهُ النوم الذي يجعل الساعات الطويلة تمر كأنها دقيقة ويحرمني من الليل ومن النجوم!».

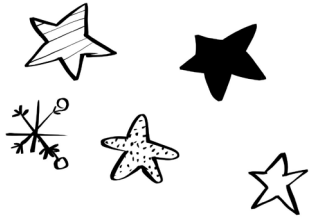

كانت «ليلة» تسمع هذا الحوار..

إنها شقيقة صباح الصغرى، ورغم أنها تعرفُ أن والدتها لا تُحب أن يُراقبها أحدٌ من خلف الباب فإنها لم تستطع أن تصمت على ما سمعت، فدخلت إلى الغرفة فجأةً حتى إنها كادت أن تسقط، أو هي بالفعل سقطت، ولكنها بالغت في الضحك حتى تبدو وكأنها على ما يرام ولم يُصبها أي ضيق..

سارعت بالوقوف وهي تعدل هندامها فرمقتها أمها بغضبٍ فكادت «ليلة» أن تخرج من الغرفة، لكنها تشجعت وتحوَّلت ضحكتها المفتعلة إلى نظرة إصرار وتحدٍّ، وقالت: «لا يا أمي أرجوكِ ألا تفعلي!»

ثم نظرت لشقيقتها وقالت بغضبٍ: «إن ما تقولينه هو الجنون بعينه.. فكيف يُمكنني أن أعيش بدون أن أجلس على شاطئ البحيرة؟ فأبي لا يسمح لي بالجلوس على الشاطئ ومشاهدة العصافير سوى في الصباح، وحتى إن سمح لي بالذهاب إلى الشاطئ بالليل فكيف سأرى العصافير في الظلام؟!

كادت صباح أن تصرخَ بها، لكنها انتظرت حتى تسمع باقي ما تقوله شقيقتها الصغيرة التي لا تفهم شيئًا..

أكملت ليلة ما كانت تقوله عن العصافير: «هي أصلاً لا تظهر في الظلام أبدًا ولا أعرف أين تذهب كل ليلة، فهي تختفي مع غياب الشمس ولا أراها سوى في النهار التالي.. وهذا الأمر في حد ذاته يُثير غيظي..»

بعد أن انتهت ليلة من كلامها كان التأثر الشديد قد بدا على وجهها فتحوَّل الإصرار في عينيها إلى دموع.. لأنها محتارة جدًّا..

فهي تعرف أن أمها تحب شقيقتها الكبرى صباح.. وأنها بالتأكيد ستنفذ لها ما تحلم به.. وأنه لا أحد في المنزل يهتم بمشاعرها هي ولا بحبها للعصافير واهتمامها بانعكاس الشمس على وجه المياه في البحيرة.

انتبهت «ليلة» فجأة من شرودها، وهزَّت رأسها كأنها تفيق، لتجد نفسها ما زالت واقفة خلف باب غرفة صباح، ما زالت تستمع لحديث صباح مع والدتها بدون أن تتدخل.. فكل كلامها وغيظها لم يحدث سوى في رأسها!

فـليلة.. خيالها واسعٌ جدًّا.. لكنها لا تُمانع أن تصبح محرومة من ذلك الخيال في مقابل

أن تكون شجاعة وتُعبر عما تريده وتطلبه بصراحة، مثلما تفعل صباح بكل سهولةٍ.

ابتعدت ليلة عن باب الغرفة نصف المُغلق ونصف المفتوح وهي تقول لنفسها: «يا ليتني قلت لهما ما أريد ولم أتسمَّر في مكاني كالبلهاء».

.....

(٢)

دخلت ليلة إلى غرفتها كي تبكي بحريةٍ بعيدًا عن أعين أسرتها، وتساقطت دموعها وهي تنظر من النافذة نحو البحيرة البعيدة وترى الأشجار تتمايل بفعل الريح حتى خُيل لها أنها ستطير.. تشعر أن الأشجار تُحرك ذراعيْها غضبًا لأنها لن تتمكن من رؤية الشمس مجددًا..

«هل هذا سيحدث بالفعل؟ هل هذا آخر نهار سوف تراه الشجرة المسكينة؟» فكرت ليلة أنه لو استجابت أمها لطلب شقيقتها صباح لربما كان ذلك فعلاً هو آخر نهار في العالم.

«خففي عن نفسك يا ليلة.. فالأشياء جميلة أيضًا في الليل.. ربما فقط تكون غير ملونة..

لكن ذلك لا يعني أنها غير جميلة.. وماذا تعني الألوان على أية حال؟!»

هكذا قالت السمكة الطائرة بصوتها الحاد وهي تُحدَّث ليلة، وهي تعبر سريعًا أمام نافذة غرفتها ثم تُسارع بالاختفاء.

شعرت ليلة بالدوران والنعاس بينما صدى صوت السمكة يتردد في أذنها، لكنها حاولت مقاومة الرغبة في النوم ونظرت من النافذة مجددًا.. إنها ترى الألوان في الخارج تبهت!

فالأشجارُ لم تعد خضراء والسماء صارت رمادية..

« كل شيء يفقد جماله عندما تختفي الألوان..
كل شيء يفقد جماله عندما تختفي الألوان..
كل شيء يفقد جماله عندما تختفي الألوان..
كل شيء يفقد جماله عندما تختفي الألوان»..

هكذا صرخ في أذنها عصفورٌ أسود فصرخت ليلة في الحال..

لقد استيقظت ليلة الآن من غفوتها.. تلفتت حولها لتبحث عن العصفور الأسود فلم تجده.. لم يكن سوى حلم سخيف ومزعج زارها عندما غفت أمام النافذة بعد أن تركتها السمكة الطائرة.

فتحت عينيْها وحدَّقت جيدًا.. ووجدت الألوان كما هي.. ولم تختفِ من كل الأشياء..

«أتمنى ألا تستخدم أمي قوتها السحرية الآن»، قالت ليلة لنفسها..

ثم فكرت قليلاً وأكملت حديثها لذاتها:

«لا.. مستحيل أن أسكت حتى يحدث ذلك الأمر»

سارعت ليلة وخرجت من غرفتها وقابلت والدها «نعمان» في البهو.. ووالدها ليست له قدراتٌ سحريةٌ كوالدتها.. لكن لديه قدرات أخرى خارقة أيضًا.. فهو لا يغضب أبدًا!

ومع ذلك فهو أحيانًا يشعر بـ«الملل» فيصمت.

كانت ليلة تعتقد أنه لا يغضب أبدًا.. وهو في الحقيقة كان يعرف فيم يفكر البشر من حوله وبالتالي لا يغضب منهم.. لكنه لم يكن يقرأ أفكار الناس كما كانت تظن ليلة، كان فقط يستطيع أن يتخيل كيف يفكرون!

أخبرها والدها أن موعد الغداء قد حان فاتجهت معه إلى مائدة الطعام.. وعلى الغداء كانت ليلة غاضبة جدًّا لكنها لا تعرف ماذا تقول وتعرف ألا أحد سيفهمها.. وكانت عوضًا عن التعبير عن نفسها تتصرف بغضبٍ وتخبط

الملعقة بقوة، لدرجة أن طبق «الحساء» كاد أن ينقلب عدة مرات!

.....

(٣)

في وقتٍ مبكرٍ من المساء ذهبت ليلة إلى غرفتها كي تنام.. فهي معتادةٌ على النوم مبكرًا بسبب كونها لا تحب الليل ولا تعرف ماذا تفعل فيه غير الخلود للنوم.. لكن قبل أن تغفو وجدت الباب يُفتح ببطء..

إنه والدها.. اقترب منها وجلس بجوارها ثم سألها عما يشغل بالها.

فكرت ليلة أن تخبره، لكنها تعلم أنها لن تستفيد شيئًا من ذلك كله..

فقالت: «لا شيء يشغلني.. معدتي فقط تؤلمني قليلاً.. والآن أشعرُ بالنعاس الشديد». بدأت ليلة في التثاؤب بشكلٍ مبالغ فيه، ووقف والدها استعدادًا للخروج من الغرفة.

ما أن عبر والدها الباب حتى وجد «ليلة» تناديه وهي تبكي، دخل الأب مجددًا إلى الغرفة واستمع إلى «ليلة» حتى حكت له كل ما يزعجها بالتفصيل.

فكر والدها قليلاً، ثم قال: «لماذا تظنين أن والدتك ستقوم بهذا العمل؟»

قالت له: «ماما تريد أن تُرضي صباح، إنها أختي الكبرى وهذا شيء طبيعي!»

قال والدها وهو ينظر لها: «ربما أنت تعتقدين ذلك.. لكن هذا لا يعني أن ما تعتقدينه حقيقي».

نظرت ليلة لوالدها تريد أن تُصدقه لكنها ما زالت حائرة وغاضبة.. كتمت رغبتها في البكاء لثوانٍ معدودة، ثم أصبح وجهها أحمر للغاية وانفجرت في بكاء أشبه بالصراخ.

اقترب منها والدها وقام باحتضانها حتى هدأت، ثم سألها: «لماذا لم تخبري والدتك بكل ما يضايقك وبكل مخاوفك أيضًا؟»

ردت ليلة بعد أن هدأت تمامًا: «وما فائدة ذلك؟»

ربت والدها على شَعرها وابتسم لها، فابتسمت له أيضًا، ثم قال هامسًا: «ألا تعرفين أن التعبير عن غضبك مفيد جدًّا؟!»

«لا أظن ذلك»، قالت ليلة وهي تقطب جبينها.

قال لها والدها وهو ينظر في عينيها: «ألا تعرفين أن غضبك يصبح أكثر سخونة كلما كتمته؟ بالضبط مثل الماء الذي نتركه يغلي في إناء ضيق لوقتٍ طويلٍ جدًّا.. فلا نحن وضعناه في إناء أوسعَ، ولا نحن أغلقنا شعلة النار التي تزيده سخونة!»

نظرت ليلة لوالدها بتعجب وهي تُحاول أن تتخيل ذلك الإناء الضيق وصوته المزعج.

«لكن يا أبي..أنا أعرف أن لديك قدرةً خارقةً على عدم الغضب.. وكنت أعتقد أنني أخذت هذه الموهبة منك».

«في الحقيقة.. في الحقيقة أن قدرتي على عدم الغضب هي غير حقيقية!» قال الأب وهو يضحك.

نظرت له ليلة مستفهمة فأكمل: «أنا أغضب.. لكن ربما لأنني أحاول التعبير عما أشعر به لذلك لا يكون غضبي كبيرا».. فكر قليلاً ثم أكمل:

«كما أنني أعتقد أنني أستطيع أن أعرف كيف يفكر الآخرون.. هؤلاء الذين يتسببون في غضبي.. لذلك يصبح غضبي الكبير منهم صغيرًا!»

«إذن قدرتك الخارقة هي قراءة الأفكار.. كنت أعرف ذلك دائمًا!»

ضحك الأب وقال: «ليست لديَّ موهبة قراءة الأفكار.. فقط تخيلها.. وهو أمرٌ مختلفٌ تمامًا.. لكن الأفضل من تخيل الأفكار هو أن يخبرني الشخص نفسه بمشاعره لأعرف الحقيقة منه، أو أقترب منها على الأقل»..

«لكن لو أن كل فرد أخبرك بحقيقة مشاعره فلن تكون لديك الفرصة حينها لتظهر قدراتك الخارقة!» قالت ليلة.

فكر والدها قليلاً، وقال: «ليست لديَّ قدراتٌ خارقة، صدقيني!.. أو ربما قدرتي الخارقة هي أنني أقول ما أحب أن أقوله دائمًا، في الحقيقة ليس دائمًا.. ولكنني دائمًا ما أستمع جيدًا لما يقوله غيري.. حتى لو لم ينطق به»!

قام الأب بتقبيل ليلة وتركها لتنام فقد كانت جفونها ثقيلة جدًّا من أثر النعاس..

وعندما استسلمت ليلة للنوم حلمت بالإناء الضيق الممتلئ بالماء المغلي.. كما حلمت بالعصفور الأسود الذي لا يريد للألوان أن تختفي..

.....

(٤)

عندما استيقظت ليلة في النهار تذكرت حديثها مع والدها.. لكنها ليلة لم تكن تعرف إذا كان ذلك حلمًا أم حقيقة.

قررت ليلة أن تتحدث مع صباح عما يُضايقها.. لكن لأن صباح قد استيقظت متأخرة كعادتها

فكان على ليلة ترتيب المنزل وحدها وكذلك إعداد طعام الإفطار.. وأيضًا إطعام القطط..

مما أرهقها للغاية، كما منعها من أن تستمتع بجمال الشمس الذي تستيقظ مبكرًا لتشاهده.. ولذلك فقد أصبحت غاضبة عندما استيقظت صباح، ولم تعد تحتمل الصمت، خاصة أنها قد كتمت الغضب طويلاً، فصرخت في الحال ببعض ما يزعجها..

أما صباح فقد بدأت في البكاء، وتلك هي المرة الأولى التي تراها فيها ليلة وهي تبكي.. لم تكن تعرف أن شقيقتها صباح لديها دموع مثل كل المخلوقات!

صمتت ليلة من المفاجأة، وبدأت صباح في الكلام: «كل يوم أضطر أن أستيقظ معكم، بينما أنا تقريبًا لم أنم طوال الليل.. فالوقت الطبيعي للنوم بالنسبة لي هو أثناء النهار!

ففي الليل تحدث كل الأشياء الجميلة، ويحلو الحديث والمزاح والقراءة والغناء وكذلك لعب الشطرنج، وأتعجب ممن ينامون الليل ويستيقظون مع طلوع الشمس..

تلك الشمس السخيفة التي تطل لتملأ

المنزل بضوءٍ مزعجٍ، ليس كمثل نور القمر الرقيق!

تلك الشمس التي تحرق عينيَّ فأضطر لإغلاقهما فورًا وأنا أتصبب عرقًا، ولا أقوى على فعل شيء وقتها سوى التثاؤب والنعاس!»

ردَّت عليها ليلة مستنكرة: «ما دام الأمر كذلك.. فكيف أستيقظ أنا بسهولةٍ مع زقزقة أول عصفور في الحديقة ومواء أول قط يقترب من غرفتي؟!»

«لا أعرف! ربما تلك هي قدرتك الخارقة!» قالت صباح.

«ليست لديَّ قدراتٌ خارقةٌ.. أنت فقط لا تريدين الاعتراف بأنك كسولة!».. صرخت ليلة.

جاء صوتُ الأم عاليًا من بعيدٍ لإسكاتهما: «كفـــــــــى!»

صمتت الشقيقتان في خوفٍ ونظرتا لوالدتهما التي وصلت للتو بعد أن سبقها صوتها إليهما..

«مـــاذا جـــرى كي يصـــل صوتكمـــا إلى آخـــر المـــديـــنة؟!».. سألت الأم مستنكرة في لوم.

سارعت ليلة بالرد على أمها: «يجب أن يصل صوتي إلى كل مكان.. فقد سمعتك بالأمس وأنت تعطين وعدًا أنك ستجعلين الليل يعم على الأنحاء وألا يأتي النهار أبدًا!»

استغربت الأم مما سمعت فهي لم تقطع على نفسها عهدًا بذلك.. بينما ظلت صباح صامتة تنظر لوالدتها في رجاء.. وتأكدت ليلة أن والدتها ستنفذ ما تريده شقيقتها الكبرى كالعادة.

.....

(٥)

في الليل لم تستطع سحر النوم فقد كانت تُحب أن ترى ابنتيها سعيدتين، ولكن حتى الحيل السحرية التي تُجيدها لا تستطيع أن تُحقق ذلك بهذه السهولة، وكيف لأي حيلة أن تحقق السعادة؟!

هكذا فكرت سحر وهي تتقلب في فراشها في أرقٍ.

«لكن على الأقل يمكنني أن أحاول»، هكذا فكرت سحر وقد نهضت من فراشها وراحت تقطع الغرفة ذهابًا وإيابًا في قلق..

«لكن حتى لو كان بإمكاني أن أجلب السعادة بطريقةٍ أو بأخرى، كيف لي أن أجلبها لابنتيَّ بينما رغبة كل واحدة منهما على النقيض تمامًا من رغبة الأخرى... كيف يمكن الجمع بين النقيضين؟»

فكرت سحر كثيرًا ثم وقعت عيناها على زوجها نعمان، وكان يغط في نومٍ عميقٍ، نفخت سحر بشدة، فنعمان يغيظها ويثير غيرتها بقدراته الخارقة، وهي تعتقد أن لديه قدرةً غير عادية على النوم السريع، فما أن يلمس رأسه الوسادة حتى يستغرق في نومٍ عميقٍ، ولا يصيبه الأرق أبدًا، بينما هي على النقيض منه تمامًا. ظلت تروح وتجيء في الغرفة بعصبية، على أمل أن يستيقظ بسبب وقع خطواتها على أرض الغرفة، لكن بلا جدوى!

شربت سحر بعض الماء البارد ثم جلست على كرسيها «الهزاز» الذي تجلس عليه فتأتيها كل الأفكار المهمة فورًا.. وظلت تتأرجح إلى الأمام وإلى الخلف وقد أوشك الجنون أن يصيبها.

«أنا فعلاً أريد السعادة لابنتيَّ.. أريد أن أراهما سعيدتيْن، لكن هل من المهم فعلاً أن تصبحا سعيدتيْن؟ لا أظن ذلك.. لكن هو أمرٌ مهم بالنسبة لهما.. لكن بالنسبة لي أنا.. فأنا أحب.. أنا أحب..

أنا لا أعرف ماذا أحب!»

هكذا فكرت سحر وهي تنظر إلى سقف الغرفة شاردةً.. وبدأ الحزن يتسلل إليها.. حتى أتتها فجأة فكرة أعجبتها.

«نعم لقد عرفت ما أحبه.. أكثر ما أحبه بالفعل هو أن أراهما قد اتخذتا قرارًا لنفسيهما.. بنفسيهما.. حتى ولو لم تكن النتيجة سعيدة في النهاية.. فالمهم بالنسبة لهما هو القدرة على اتخاذ القرار مهما كانت النتائج».

هذا هو كل ما أريده.. من الجيد أن يعرف الإنسان ما يريده».

ارتاحت سحر لهذا الرأي واتجهت إلى الفراش كي تُحاول أن تنال قسطًا من الراحة.. وأخذت تتشاغل بادِّعاء الاستسلام للنوم.. بينما عقلها ظل مشغولاً بليلة وصباح وماذا ستفعل من أجلهما.. حتى إنها قد رأتهما في سبعة أحلام متتالية!

.....

(٦)

في الصباح فكرت سحر كيف تُرضي ابنتيها، وكيف تُرضيهما إذا كانت رغباتهما متناقضة!

لم تكن تعرف من تُرضي.. ففكرت أيهما أكثر معاناة، لكنها لم تتوصل لشيء تقريبًا.. فليلة منزعجة للغاية، كما أن صباح مرهقة وتكره الشمس بالفعل.. لكن سحر لا تعلم أيهما أكثر احتياجًا للمساعدة والتدخل السريع!

فكرت سحر أن تسأل والدهما لأنه أكثر من يستطيع قراءة الأفكار في المنزل.. ولكن غيظها الشديد منه منعها من سؤاله. كما أنها تعرف أنه سيعرض عليها وجهات نظر كثيرة ويتركها كي تحتار وتختار هي في النهاية!

قررت سحر أن تقرر وحدها ماذا ستفعل.

«سأبدأ بمساعدة صباح، فهي من طلبت مساعدتي أولاً.. نعم فالنظام نظام ولا مفرَّ من اتباعه»، هكذا فكرت سحر.

في الليل ظلت سحر طويلاً في مختبرها السحري تُجرب وتُجرب.. وبعد ساعاتٍ من العمل.. توصلت لمسحوق سحري فضي اللون.. له تأثيرٌ عجيبٌ يبدأ خلال ساعاتٍ قليلةٍ.

نثرت سحر المسحوق من نافذة المختبر، وتركت الرياح لتنشره في جميع الأنحاء بينما هي تشعر بالإثارة من جراء التجربة برمتها، ثم أغلقت النافذة وهي تحاول ألا تشعر بالندم.

كان على سحر أن تُخبر الجميع بما فعلته، وقررت أن تبدأ بليلة لأنها هي أكثر من سيشعر بالضيق لما سيحدث، فخرجت من مختبرها مع حلول النهار واتجهت لغرفة ابنتها الصغرى.

اقتربت سحر من ليلة وترددت قليلاً قبل أن تتحدث معها، نظرت لها ليلة في قلق، فهي أول مرة ترى أمها صامتة هكذا، كمًا تبدو الحيرة على وجهها أيضًا.

حدقت الأم بها أكثر فحدقت بها ليلة بدورها!

«ماذا بكِ يا أمي؟ لماذا تنظرين لي هذه النظرة المُخيفة؟!»، هكذا تشجعت ليلة وسألت والدتها.

ردَّت سحر: «جئت لأخبرك أن اليوم يجب أن تخرجي وتستمتعي بالنهار والضوء».

ابتسمت ليلة ولم تفهم ما تقصده أمها، التي أكملت قائلة: «لأن اليوم قد يكون.. آخر نهار في العالم»!

صرخت ليلة صرخةً مدويةً لكنها بلا صوتٍ.. فصوتها لم يكن يريد الخروج من أحبالها الصوتية، تمامًا كما يحدث في الأحلام المزعجة.. فركت ليلة عينيها لتتأكد أنها ليست في حلم وليست نائمة.. أرادت أن تصرخ ولكنها بدلاً من ذلك ضحكت بشدةٍ وبصوتٍ عالٍ، بينما أمها تنظر لها باستغرابٍ شديدٍ.

كانت «ليلة» في حالةٍ هيستيرية، لا تصدق ما تقوله والدتها.. لكنّ سحر أكدت لها أنها اضطرت لفعل ذلك حتى تحقق لشقيقتها الكبرى «صباح» أمنيتها.

قاومت ليلة حالة الخرس التي أصابتها ونطقت أخيرًا والدموع تملأ عينيْها..

«هذا.. أمر.. غير.. عادل يا أمي.. هذا في الحقيقة ظلم شديد».. قالت هذه الكلماتُ بصعوبةٍ، ثم انفجرت بالبكاء.

ابتعدت ليلة عن والدتها التي ظلت صامتةً لا تدري ماذا تفعل ولا تدري هل أخطأت أم لا.

أما ليلة.. فقد خرجت من المنزل مُسرعة.. وهي لا تدري ماذا ستفعل، ولم تقدر على الاستمتاع بالنهار، على الرغم من كونه سيذهب بلا عودة.

سرعان ماعادت ليلة إلى المنزل، ودخلت إلى غرفتها، لأنها لم تكن تعرف ما جدوى الاستمتاع بالنهار إذا كان هو آخر نهار في العالم..

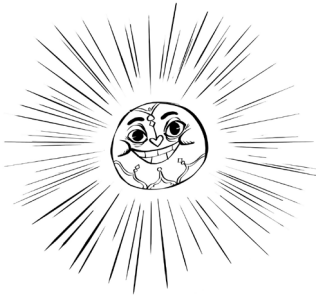

وفي غرفتها ظلت تنظرُ من النافذة في صمتٍ وتفكر.. كم يا تُرى من الوقت قد بقي علىٰ تلك «الشمس» حتى تغيب إلى الأبد؟ وما فائدة الاستمتاع بشيء ونحن نعلم أنه لن يبقى معنا بعد اليوم.. هكذا فكرت ليلة والدموع تنسابُ من عينيها ببطء لتحجب رؤيتها للأشجار الموجودة أمام النافذة.

قررت ليلة أن تغلق النافذة وتُحاول النوم، فهي لا تستطيع أن تواجه لحظة غياب الشمس إلى الأبد.

.....

(٧)

كانت الأيام التالية من أجمل الأيام في حياة «صباح»، والأجمل أنها لم تكن أيامًا، بل كانت

«ليالي» متتالية لا تبدأ ولا تنتهي.. ليلٌ متواصلٌ بلا نهار.. لقد نجحت تركيبة «سحر» في تحقيق أمنية «صباح».

استمتعت صباح في هذا الوقت كما لم تستمتع من قبل.. فقد قامت بـ «عدِّ» النجوم بدون أن يقطع ذلك ظهور النهار.. ورغم أنها لم تستطع إكمال «العدِّ» أبدًا، فإنها على الأقل حاولت، ولم يمنعها النهارُ السخيفُ من التوقف، لكنها توقفت بعد قليلٍ.. بسبب الملل.

لم تعد صباح تشعرُ بحرارةٍ تُحيط بجسدها ولم تنزل حبة «عرق» واحدة فوق جبينها، كما استطاعت أن تهرب من تناول طعام الإفطار الذي عادة ما يتكون من ثلاث بيضات مسلوقات!

كم هو جميلٌ ألا يكون هناك نهار..

كان الأب «نعمان» يُشاهد ما يحدث وهو صامتٌ، أما الأم فعلى الرغم من أن مسحوقها الفضي كان هو السبب في كل ما حدث، فإنها لم تكن تشعر بأي شعورٍ طيبٍ.. كانت تشعر فقط بالسعادة للحظاتٍ قليلةٍ جدًّا عندما ترى صباح مبتهجة..

لكن الغريب أن صباح نفسها لم تعد مبتهجة بنفس القدر بعد مرور بعض الوقت، ففي الليلة

الأولى بعد أن قامت والدتها بنثر المسحوق العجيب كانت صباح سعيدة للغاية، أما في الليلة الثانية فقد أصبحت سعيدة، وفي الثالثة والرابعة لم تعد تشعر بأي شعور.. كان الأمر قد أصبح معتادًا.. ربما لأنها في الأساس لم تعد تعرفُ كيف تُحصي الليالي، فالوقت كله أصبح «ليلة واحدة.. طويلة جدًّا».

أما «ليلة» فقد كان حزنها لا يخفى على أحد، الأمر الذي تسبب في بعض الضيق لشقيقتها «صباح»، ولكي تتغلب صباح على ذلك الشعور السيئ كانت تقول لنفسها: «ليس الأمرُ بيدي.. وليس من الطبيعي أن يُصبح الجميع سعداء.. حتى أنا لستُ سعيدة جدًّا.. أنا فقط أشعرُ بشعورٍ عادي!».

أقنعت صباح نفسها أنها ليس لديها ما تصنعه لتجلب السعادة لشقيقتها.

أصبح الوضعُ في المنزل غير مُحتمل، فـ «ليلة» تعيسة، ومع مرور الوقت فإن «صباح» أصبحت تعيسة أيضًا، والأب ما زال صامتًا، وكذلك الأم، لكنها تخفي عن الكل شعورًا بالضيق ولوم النفس.

.....

(٨)

ازداد الأمرُ غرابة بحضور العم «دهشان» وهو شقيق والد صباح وليلة، حيث حضر من بلدته البعيدة لزيارة شقيقه، ووصل في الليل، لكنه اندهش لأن الليل لم ينتهِ منذ أن وصل هو إليهم!

وقد اعتاد «دهشان» أن يزورهم كل فترة ليمكث معهم بضعة أيام ثم يرحل مجددًا إلى بلدته البعيدة، ولكن لأن الوضع كان غريبًا بالنسبة له فقد أخبرهم أنه يريد الرحيل فورًا، مما تسبب في حُزنٍ للجميع، لأن الجميع يُحبون العم دهشان وينتظرون زيارته ليضحكوا على نوادره وحكاياته المسلية.

ولكن لحسن الحظ أو سوئه، فإن دهشان لم يستطع ترك منزلهم، لأن الطريق الذي يسلكه من منزل شقيقه متجهًا لبلدته أصبح مظلمًا ومخيفًا جدًّا، كما أن «حماره» الذي أتى به لن يتمكن من السير بسهولةٍ في هذا الظلام.

اضطر دهشان للبقاء معهم رغم أنفه، لكن الظلام الذي يعيشون به كان يُشعره بالنعاس الدائم، فينام بشكلٍ متواصلٍ، وهو يحب النوم جدًّا!

أما في الأوقات القليلة التي يستيقظ خلالها، فكان يعجز عن الاستمتاع بصحبة شقيقه «نعمان»، فضوء الشموع الخافت لا يُمكنه من الرؤية بسبب ضعف بصره، وبالتالي فهو لا يرى شقيقه بوضوح، ولا يستطيع أن يلعب معه لعبة الشطرنج المُفضلة لديهما، الأمرُ الذي يزعجه للغاية.

وعلى الرغم من أن صباح قد حاولت أن تُقنع العم دهشان كثيرًا بجمال الليل الذي يجعل أعصاب الجميع هادئة، والذي بفضله أصبح هو مقيمًا لديهم لفترةٍ أطول، فإن العم دهشان لم يقتنع، فما فائدة البقاء مع العائلة لو كان البقاء إجباريًا وليس اختياريًا!

مما زاد الطين بلة بالنسبة لدهشان أنه لم يكن مُستعدًا للبقاء لكل تلك الفترة، ولم يجلب معه ملابس كافية، وعندما اتسخت ملابسه وقام بغسلها لم يكن هناك ضوءٌ كافٍ كي تجف الملابس بسهولةٍ، فلا توجد شمسٌ، ولا حتى شمس صغيرة!

وبالتالي، فالملابس المبللة لا تجف سوى بعد وقتٍ طويلٍ جدًا! مما اضطر العم دهشان إلى استعارة ملابس ضيقة جدًا من شقيقه نعمان الذي يتميز بالنحافة.

كانت ليلة تُشاهد كل ما يحدث وهي بائسة، ليس فقط لأنه لم يمر عليهم نهار واحد منذ فترةٍ طويلةٍ جدًّا، بل لأن جميع أفراد أسرتها قد سئموا الظلام لأسبابٍ عاديةٍ، أسباب ليس لها علاقة بتعاستها هي.

أما «صباح» فقد سئمت من الوضع للغاية لكنها لم تُصارح أحدًا بذلك، فلم تكن تدري ماذا تقول، فكل ما فعلته والدتها كان من أجلها هي.. وصحيح أنها لم تكن تعيسة بنفس درجة تعاسة شقيقتها «ليلة» ولكنها لم تكن سعيدة أيضًا.. فغياب النهار لا يجعل لها حتى فرصة كي تشتاق إلى الليل الذي تحبه.. فالملل أصبح هو شعورها في كل الأوقات.

.....

(٩)

فكرت صباح أنه ربما من المناسب أن تفعل شيئًا لإنهاء حالة «الليل المستمر» تلك.. ولم تدر بنفسها إلا وهي تتسلل إلى مختبر والدتها بعد أن تأكدت من نوم الجميع!

في المختبر أمسكت صباح شمعةً كبيرةً بحرصٍ شديدٍ وبدأت تبحث عن التركيبة السريّة التي حضرتها والدتها والتي كانت

السبب في كل ما حدث.

وبعد الكثير جدًا من البحث والكثير من الفوضى أيضًا، وجدت صباح المسحوق الفضي.. لكن لا.. فهو ليس فضيًا!

فضوء الشمعة لا يجعلها تتبين إذا ما كان فضيًا أم أزرق اللون، أم بنفسجيًا..

أو ربما هو أخضر اللون.. هو بالفعل أخضر!

ظلت صباح تحدق في المسحوق كي تتأكد من لونه، وقربت الشمعة منه للغاية لكنها لم تعد تميِّز أي لون، وفجأة سمعت صوت صراخ يأتي من خلفها.

«ابتعدي.. ستحرقين المكان كله»!!

فزعت صباح ونظرت خلفها لتجد شقيقتها «ليلة» تكمل صراخها بعد أن استجمعت شجاعتها..

«ألا يكفيكِ كل ما حدث بسببك؟»

«ماذا أتى بكِ أنتِ إلى هنا؟ أتقومين بمراقبتي؟» سألتها صباح.

في الحقيقة.. أنا لم أراقبك.. أنا جئت قبلك إلى المختبر» .. ردت ليلة وهي تشعر بالخجل.

«يا لك من جبانة! جئتِ قبلي وقمتِ بالاختباء عندما دخلت أنا؟!» قالت صباح باستهزاءٍ شديدٍ.

سكتت ليلة وهي حزينة جدًّا، وفكرت إذا ما كانت بالفعل جبانة مثلما تقول شقيقتها.

«لا، لست جبانة! هل يمكنك أنتِ أن تخبريني لماذا جئتِ هنا بعد أن نام الجميع.. بالتأكيد تريدين أنَ تقومي بتصرف شرير».

كادت صباح أن تُدافع عن نفسها، وتُخبرها أنها على العكس من ذلك تريد أن تنهي حالة الظلام الدائم.

وعلى الرغم من أن صباح لا تجد صعوبة أبدًا في التعبير عما تشعر به، فإنها شعرت ببعض الخجل من التعبير عن مشاعرها هذه المرة، فهي لا تريد أن تبدو مترددة أو مخطئة أمام شقيقتها الصغرى.

فضَّلت صباح أن تستسلم لحالة العناد تلك، وبدلاً من قول الحقيقة قالت صباح بلا تفكير: «أتيت هنا كي أتعلم التركيبات السحرية، لأنني أريد أن أكون بنفس مهارة أمي.. كما أريد أن أتأكد أن الليل سيستمر إلى الأبد!».

ردت ليلة باندفاع: «من يريد التعلم لا يأتي في الظلام، بل ينتظر حتى ظهور ضوء النهار!»

بعد أن قالت كلماتها شعرت بالسخافة، فالنهار قد انتهى إلى الأبد، وهي تعرف ذلك.

نظرت لها صباح بتحدٍّ لأنها تعرف ما يدور بذهن شقيقتها، ثم قالت لها وهي ترفع حاجبها:

«النهار لن يعود مجددًا وأنا هنا لأتأكد من حدوث ذلك!»

ومن باب العناد أمسكت صباح بالإناء الزجاجي الذي يحتوي على المسحوق الذي لا تعرف لونه، وقربته منها بشدة، كأنها تؤكد أنها وحدها من تملكه.

فزعت ليلة وصاحت فيها: «لن أتركك تفعلين ذلك.. اتركي هذا الإناء فورًا!».

تصارعت الشقيقتان، فكل منهما تريد أن تستأثر بالإناء، على الرغم أنهما لا تعرفان بالتحديد ماذا يوجد بداخله، ولا ماذا عليهما فعله لتحقيق أي شيء مما تريدان.

ولم تكن صباح على وجه الخصوص تعلم سبب ما تفعله هي شخصيًّا! فقد كانت تقريبًا تريد نفس ما تريده شقيقتها ليلة! لكنها لا تريد الاعتراف بذلك، فقد كذبت كذبة والآن عليها أن تكملها للنهاية، وعليها أن

تنتصر في هذا التحدي الذي بدأته.

حاولت صباح الجري والهرب من شقيقتها، لكن المختبر كان ضيقًا ومزدحمًا، فارتطمت بمنضدةٍ في طريقها، ليقع منها الإناء الزجاجي وينكسر، وينسكب ما به من مسحوق على أرض المختبر، وتصرخ هي بشدةٍ من الألم.

سريعًا ما انتشر المسحوق في كل مكان في المختبر بفعل الهواء، حتى خرج بعضه من النافذة ووصل إلى السُحُب في السماء واختلط بها، وسط ذهول الفتاتين وخوفهما.

شعرت الشقيقتان بخوفٍ شديدٍ وحاولتا إصلاح الفوضى التي وقعت وتنظيف المختبر، لكن خوفهما من إفساد شيء آخر جعلهما تتركان المكان وتتجهان لغرفتيهما، فلم يكن هناك ما يمكن عمله لإصلاح ما حدث.

ولكن بعد ساعاتٍ قليلةٍ كانت نتيجة ما حدث قد ظهرت واضحة أمام الجميع، فقرص الشمس قد عاد إلى السماء أخيرًا! ولكن لسوء الحظ لم يكن ضوؤه أصفر كالمعتاد، بل كان ضوءًا أخضر مزعجًا للغاية!

اتجهت الأم إلى ابنتيها وسألتهما بغضبٍ شديدٍ: «ما الذي حدث في المختبر أمس؟ ومن

المسئول عن الشمس الخضراء تلك؟»

لم تقدر ليلة على النطق، أما صباح فقد استجمعت شجاعتها وقالت على مضضٍ:

«لقد أخطأت يا أمي.. أنا المسئولة عن كل ما حدث».

أكملت ليلة بعد أن شجعها اعتراف شقيقتها:

«وأنا أيضًا.. أتحمل المسئولية مع صباح».

بعد أن فهمت الأم ما حدث وبعد أن اعتذرت الفتاتان.. سارت الأمور بشكلٍ غريبٍ جدًّا، أغرب من أن يتخيله أحد.

فبعد وقتٍ قليلٍ من سطوع الشمس الخضراء حلّ الظلام مجددًا، ولم يكن بمقدور كل من بالبيت سوى المراقبة في صمتٍ وخوفٍ وترقب لما سوف يحدث.

واستمر الحال على ذلك المنوال، تضيء الشمس الخضراء ساعة، ثم يحل الظلام ساعة، ثم يظهر الضوء الأخضر مجددًا، وهكذا بلا انقطاع، وبشكلٍ جنوني مثيرٍ للأعصاب.

.....

(١٠)

صار كل من بالبيت متعبًا للغاية بسبب سطوع الشمس الخضراء ثم خفوتها مراتٍ

عديدةً في اليوم الواحد.. وكان الأب «نعمان» غير راضٍ عن كل تلك الفوضى التي عمَّت البيت لكنه أراد أن يبقى صامتًا..

أما شقيقه «العم دهشان» فقد أصيب بالزغللة الدائمة ولازم الفراش كلية، كما أصبح يتفادى أكل البروكلي والسبانخ والجرجير رغم أنه يحبها بشدة، لكنه أصبح يكره اللون الأخضر ويخشاه، بل ويتجنبه بكل الطرق!

وفي الساعة المُظلمة بعد غياب الشمس الخضراء، دخلت ليلة لتنام قليلاً، وكان البيتُ هادئًا فاستغلت صباح الفرصة ودخلت إلى غرفة والدتها.

نظرت لها سحر بعينيْن متسائلتيْن عن سبب حضورها، فتشجعت صباح وقالت:

«أنا أعرف خطئي جيدًا، لم يكن من الصواب أن أدخل إلى المختبر وأعبث به، والآن قد عرفت معنى الشعور بالندم للمرة الأولى، فهل لي

بطلبٍ واحدٍ أخيرًا!»

نظرت لها والدتها بمعنى «تكلمي!»..

قالت صباح: «هل يمكنك فقط.. أن تلغي كل ما حدث.. ليعود الحال كما كان في السابق؟!

أو على الأقل نمحو كل الأيام السابقة وننتقل إلى اليوم السابق لدخولي المختبر والعبث به؟!»

قالت الأم: «هل ترغبين أن يصبح الوقت كله ليلاً مجددًا؟»

«في الحقيقة ليس هذا ما أريده بالتحديد يا أمي، لكن حتى الليل سيكون أفضل من الليل الممتزج بالضوء الأخضر الذي أصابنا جميعًا بالتعب الشديد»!

«الزمن لا يمكنه أن يعود إلى الخلف»! هكذا أجابتها سحر.

بدا الإحباط على وجه صباح، وطلبت سحر منها أن تعود إلى غرفتها وتحاول النوم، لأنها كانت مستيقظة لفترةٍ طويلةٍ جدًّا.

ورغم غضبها الشديد مما فعلته ابنتاها، فإن سحر قررت أن تدخل إلى المختبر وتبذل أقصى جهدها لإنهاء الوضع غير المُحتمل، ورأت أن ابنتيها قد لاقتا العقاب الكافي لعبثهما بالمختبر.

كانت سحر في الحقيقة تشعر ببعض الندم لأنها أخطأت منذ البداية عندما استجابت لأمنية صباح الغريبة.

ورغم أنها تريد العمل على إصلاح المشكلة، فإنها لم تكن تستطيع العمل عند سطوع القرص الأخضر في السماء، لأن الضوء الأخضر كان يريها باقي الألوان بشكلٍ غير واضح، فلم تكن تستطيع أن تميِّز الأزرق من الأصفر!

ولذلك كان عليها أن تعمل في الساعات التي لا يسيطر فيها اللون الأخضر على المكان، وهي الساعات المظلمة، فكان الأمر مرهقًا للغاية، ولذلك فقد استغرقت وقتًا طويلاً حتى تتوصل لتركيبةٍ خاصةٍ لإصلاح الأمر.

أبقت سحر الأمر سرًّا عن الجميع، لأنها كانت تريد أن تتأكد أولاً أن تركيبتها ستعمل.

.....

(II)

في اليوم التالي كان الجميع يجلسون على مائدةٍ صغيرةٍ في الحديقة يأكلون على ضوء الشموع.. كانوا يأكلون في صمتٍ بدون أن

يكلم أحدهم الآخر، ولا يعلمون هل هو غداء أم عشاء!

وبعد انقضاء نحو نصف ساعة من جلوسهم، طالبهم الأب بالنهوض قبل أن يظهر القرص الأخضر مجددًا في السماء، وبدأ بالفعل في جمع الأطباق استعدادًا لإدخالها إلى المطبخ.

«لا لا، انتظر.. سنأكل التحلية هنا أولاً في الحديقة قبل أن ننهض».. هكذا قالت سحر لزوجها.

بدأت سحر في جلب أطباق الحلوى وسط صمت الجميع، وعدم الحماس البادي على وجوههم، فتحمُّل الشمس الخضراء عند شروقها لا يعوضه مجرد طبق حلوى مهما كان لذيذًا!

ومع ذلك فقد بدأ الجميع في تناول الحلوى بسرعة بعد أن تبادلوا الابتسامات الصفراء الضيقة للغاية، على أمل الانتهاء منه قبل أن تظهر الشمس.

لكن ما حدث كان مفاجأةً بالنسبة لهم، فبعد دقائق قليلة جدًا بدأت الشمس فعلاً في الشروق، لكنها كانت شمسًا صفراء عادية للغاية!

كان العم دهشان أول من عبَّر عن فرحته الشديدة حيث صرخ وهو غير مُصدق: «الشمس الشمس!!».

أما نعمان فقد ابتسم ونظر إلى سحر، وقد كان يعلم أنها هي من أصلحت الأمور، لكنه سريعًا ما غضَّ بصرَه عنها، فلم يكن يريد الاستسلام لشعور السعادة.

على عكسه كانت صباح، سعيدة جدًا، حيث تنهدت في راحة لم تشعر بها منذ وقتٍ طويلٍ جدًا.

أما الفرحة الأكبر فقد كانت على وجه شقيقتها «ليلة»، حيث امتلأت عيناها بالدموع.. دموع فرح وحزن وامتنان واشتياق إلى الشمس التي تحبها.

التفت الجميع إلى ليلة بعد أن علا صوتُ بكائها رغم محاولاتها المستميتة لكتمانه، فقد كان ما تحملته في الفترة السابقة أكبر

من قدرتها على إظهار الفرحة الآن.

هرعت ليلة إلى غرفتها لتختلي بنفسها وبمشاعرها المتضاربة، فلم تكن حتى لديها القدرة على التنزه أو الاستمتاع بضوء النهار.

تابعت صباح شقيقتها الصغرى أثناء اختفائها داخل المنزل في إشفاق، ثم نظرت إلى والدتها وقامت باحتضانها لتشكرها في صمتٍ.

أما العم دهشان فقد انهمك في تناول ما بقي في كل أطباق الحلوى، في سرورٍ مُفرطٍ!

.....

(١٢)

بعد عدة ساعاتٍ كانت ليلة قد استجمعت نفسها وهدأتْ وقلَّ شعورُها بالألم الذي اكتسبته خلال الأيام الماضية، فبدأت السعادة تتسلل إلى نفسها، لكنها سعادةٌ من نوعٍ خاص، يشوبها الخوف وكذلك الحذر. فهي تخشى الفرحة نفسها.

لكنها عندما خرجت من المنزل ومشت حتى شاطئ البحيرة تساقط عنها الحزن مع كل خطوة مشتها، حتى وصلت إلى البحيرة

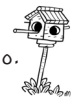

وخلعت حذاءها وتنفست بعمقٍ وهي تنظر للمياه التي لم تعد سوداء مخيفة ولا خضراء مزعجة، بل عادت لزرقتها الجميلة الصافية.

نظرت للشمس لكنها سريعًا ما أشاحت بوجهها لأن الشمس كانت ساطعة لدرجةٍ مؤلمةٍ.. ضحكت ليلة بشدةٍ.. فهذا ألم تحبهً حقا.

«هل أنتِ سعيدة الآن؟»

سمعت ليلة صوت والدها قادمًا من خلف ظهرها.

«سعيدة جدّا يا أبي»

«إذن لنجلس معًا حتى غروب الشمس كما كنا نفعل في الأيام الخوالي!»

فرد الأب المفرش المزركش الذي أحضره معه وبدأ في فتح علب الطعام التي أحضرها، وبدأت ليلة تأكل في سعادة وهما لا يتبادلان الحديث بل ينظران للبحيرة فقط، كأنما لا يريدان أن يفلتا لحظة بدون الاستمتاع بالشمس.

مع اقتراب الوقت المفترض للغروب، كانت ليلة

قد اكتسبت «سُمرة» في وجهها وذراعيها من أثر الشمس الساطعة، ومع ذلك رفضت أن تنهض عائدة للمنزل سوى بعد أن يحل الظلام.. ووافقها والدها على طلبها.

لكن العجيب أن انتظارهما قد طال لساعاتٍ، والظلام يأبى أن يأتي!

بدأ الأب في التثاؤب!

وبقدر ما كان الأمر ممتعًا فقد كان مخيفًا أيضًا.

سارعا بالعودة إلى المنزل، وعندما وصلا كان العم دهشان مستلقيًا في الحديقة وقد وضع ورقتي شجر على عينيه وربطهما معًا برباطٍ ليصبحا بمثابة «مانع للضوء» يُمكنه من النوم بسهولة، وبالفعل كان يغط في نومٍ عميقٍ.

كان صوت صباح يعلو في غضبٍ قادمًا من الداخل، ولم يتبين الأب ما يحدث حتى دخل هو وليلة إلى المنزل، ولكن ليلة كانت قد فهمت بشكلٍ أو بآخر، وشعرت أن ما يحدث قد ردّ لها قيمتها في المنزل!

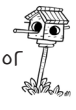

فأمها قد فعلت شيئًا مميزًا من أجلها على الرغم من أن ما فعلته لم يكن ملائمًا لباقي أفراد المنزل.. نظر لها والدها وقد فهم سر ابتسامتها، فاختفت الابتسامة على الفور وشعرت ليلة بالخجل من إظهار فرحتها.

وعندما اقتربا من صباح وسحر، كان هناك جدالٌ دائرٌ بينهما.

«وما يعنيك إذا كان استمرار النهار قد حدث بسبب خطأ قمت به أنا في المختبر، أو بسبب أنني كنتُ أرغب في فعل ذلك.. النتيجة واحدة في الحالتين!»

هكذا قالت الأم لصباح.

«أنا متأكدة أنه لم يحدث بسبب خطأ في المختبر ولا مصادفة يا أمي، لقد تعمدتِ فعل ذلك، أنا متأكدة!

أنا لم أطلب منك إنهاء الليل إلى الأبد، بل فقط إصلاح الأمر، والتخلص من الشمس الخضراء!».

لم ترد الأم على صباح وتركت الجميع يفكرون وكادت تنصرف إلى غرفتها، لكنها التفتت

لصباح مجددًا وقالت:

«لا يهمني ماذا طلبت أنتِ، بل المهم هو وجود النهار الذي اشتقنا له جميعًا».

«كان يكفينا نهارٌ واحدٌ يا أمي، وليس معنى أن شقيقتي تحب الضوء، أننا يجب أن نحيا في نهار دائم!»

بعد أن قالت صباح ما قالته شعرت بالحرج، فهي قد ارتضت أن تطلب طلبًا مشابهًا لهذا من قبل، فقد أرادت ليلاً طويلاً بلا انقطاع، ولم تشعر حينها أنه طلبٌ غريبٌ، تسمَّرت صباح للحظة ثم انصرفت نحو غرفتها.

أما ليلة فقد اقتربت من والدتها واحتضنتها لكنها لم تعرف ماذا تقول، فهي تشعر بأشياء عكس بعضها للغاية!

وقف الأب يشاهد ما يحدث ولم يكن يعرف إذا ما كان ذلك نوعًا من العبث أم أنه أمرٌ جيدٌ، وقرر أن يُشاهد الأمر حتى يعرف ماذا سيحدث في النهاية.

.....

(١٣)

عندما أصبحت ليلة بمفردها في غرفتها، صارحت نفسها بغرابة مشاعرها واختلاطها،

فهي سعيدةٌ بسبب الطقس الساطع المنير الذي يمكنها من رؤية الأشياء جيدًا.. كما أن لديها سعادةً تخجل من الاعتراف بها.. سعادة من نوع آخر خفي.

وهي سعادة سببها أن أمها أخيرًا قد فعلت شيئًا من أجلها!

«لكن ربما ماما قد فعلت ذلك لأنها هي من أرادت ذلك، لنفسها، وليس من أجلي أنا..»

عكر هذا الخاطر سعادة ليلة، ولكنه لم يكن وحده ما يُعكر صفوها.. فقد كانت هي أيضًا مترقبةً وغير متأكدةٍ من نتيجة ما فعلته والدتها..

وهل ستتحمل هي شمسًا ساطعة بلا انقطاع؟

وهل ستتحمل الشمس نفسها الاستمرار في العمل وإنتاج الضوء بلا انقطاع؟!

وماذا عن صباح؟ هل ستتحمل شقيقتها الحياة بلا نورٍ فضي رقيقٍ إلى الأبد؟

أحزنتها الفكرة الأخيرة، ولم تتحمل ليلة فوضى المشاعر التي اجتاحتها، فدفنت رأسها في الوسادة واستسلمت للبكاء..

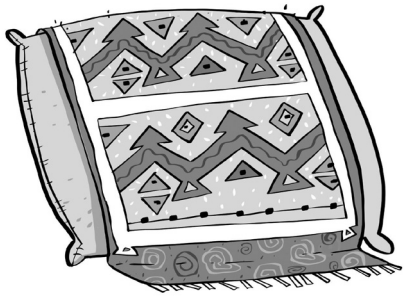

في نفس اللحظة دخلت صباح غرفة ليلة والغضب بادٍ عليها.

«هل رأيتِ ما فعلته أمي من أجلك.. هل أنتِ سعيدة الآن.. وكيف لكِ أن تنامي في ذلكَ الضوء الساطع جدًّا؟!»

«أنا غير نائمة»، هكذا أجابت ليلة شقيقتها.

اقتربت صباح من ليلة وهي تقول: «أنت لن تفهميني أبدًا.. أنا متأكدة من ذلك..».

اعتدلت ليلة وجلست، وقالت: «بالعكس.. فأنا أفهمك جدًّا، بل إنني حزينة لأنك ستضطرين للعيش في نهار دائم وأنت تكرهين الضوء الساطع.. أنا لم أطلب من أمي فعل ذلك.. كان يكفيني نهار واحد فقط، وليس نهارًا دائمًا لا ينتهي».

نظرت صباح لليلة وهي متعجبة جدًّا، فيبدو

أن دموع شقيقتها حقيقية فعلاً، ولأول مرة تكتشف صباح أن شقيقتها الصغرى حساسة لهذه الدرجة.

اقتربت صباح من ليلة وهي مذهولة، فشعرت ليلة بالندم لأنها بكت وأظهرت ضعفها أمام شقيقتها.. وفي وسط تفكير ليلة بالندم والضعف، فاجأتها صباح بما لم تتوقعه، فقد قامت باحتضانها بكل قوتها لدرجة أن ليلة قد شعرت أن ضلوعها قد تحطمت! لكنها مع ذلك قد شعرت بسعادة لم تعرفها من قبل، فلم تكن تتخيل أن شقيقتها الكبرى لديها مشاعر ويمكنها أن تمنحها حضنًا كهذا.. فهي لا تتذكر أن ذلك قد حدث من قبل..

كانت أفكار ليلة المُتلاحقة تمنعها من الاستمتاع باللحظة، وهكذا كانت ليلة تفعل دائمًا.. تفكر ولا تستمتع أبدًا.

وبعد حضنٍ طويلٍ دافئ أفلتت صباح شقيقتها ونظرت لها وقالت:

«لم أكن أعرف أن بداخلك كل هذا الحزن..».

تحدثت الشقيقتان كما لم تتحدثا من قبل.. ومرت ساعات وهما على نفس الحال وكأن

إحداهما لم تشاهد الأخرى سوى اليوم فقط!

عرفت صباح أن ليلة لا تبوح بكل ما تريده بسهولة، وذهلت من الوقت الطويل الذي تستغرقه في التفكير على الرغم من صغر سنها، فهي تُجري حساباتٍ عديدةً في ذهنها أولاً قبل الإقدام على أي فعلٍ مهما كان صغيرًا.

كما عرفت ليلة أن صباح ليست متحجرة المشاعر كما كانت تظن، فطالما حسدتها ليلة على قوتها وصوتها العالي.. لكنها الآن عرفت أن لصباح مشاعر أيضًا وأنه يمكنها أن تتعاطف مع الآخرين أحيانًا!

ومع ذلك لم تكن ليلة قادرة أن تكون مثل صباح، ولا صباح ترغب في أن تكون مثل ليلة.

تحدثت الفتاتان طويلاً حتى خُيِّل لهما أن الظلام قد حلَّ عليهما من فرط مرور الوقت! لكن الظلام لن يحل!

«ماذا عسانا أن نفعل الآن؟»، قالت ليلة.

بعد لحظاتٍ من التفكير ردَّت صباح:

«لن أستطيع أن أطلب شيئًا آخر من أمي.. ولكني سأحاول أن أجد حلاً لأتخلص من

انزعاجي من الشمس، فيمكنني المكوث في غرفتي طوال الوقت.. كما يُمكنني أن أصنع غطاءًا للعينين كالذي يضعه عمي دهشان».

انفجرت ليلة في الضحك عندما تذكرت منظر عمها وهو نائم وأوراق الشجر تغطي عينيه..

كانت هناك نسماتٌ من الهدوء تحيط بالشقيقتين رغم كل شيء.. نسمات من الرضا أو الاغتباط.. نسمات من السعادة الهادئة وليست الصاخبة..

ومع السعادة التي طفت مثلما تطفو المركب فوق سطح البحيرة، كان هناك شعورٌ آخر خفي مختبئ في العمق، شعورٌ لم تُصارح ليلة صباح به، ولا صباح قد صارحت ليلة..

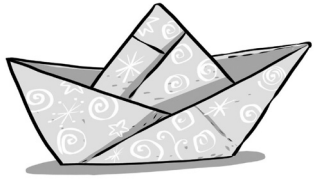

فقد كانت صباح تبتسم لشقيقتها لكن ما زال بداخلها شك.. وغضب مما فعلته والدتها.

أما ليلة وعلى الرغم من حبها للنهار فإنها كانت تفكر في «ألف» أمر آخر يزعجها.. و«ألف»

سؤال يشغل بالها!

ولكنها مع ذلك كانت لديها حالة من السكون لم تعرفها من قبل.. ليس بسبب النهار الممتد فقط، ولكن على الأرجح بسبب حديثها مع شقيقتها.

كانت الشقيقتان قد تعبتا للغاية، فاستسلمتا للنوم فورًا.. حتى إن صباح لم تكن بحاجة لتغطية عينيها مثلما فعل العم دهشان، فالنعاس كان أقوى من أي ضوء.

.....

(١٤)

استيقظت ليلة بعد ساعاتٍ قليلةٍ وكانت منطلقة للغاية، فحضَّرت الفطورً للجميع وهندمت المنزل بدون أن يطلب منها أحد ذلك.

كانت في قمة طاقتها بسبب ضوء الشمس الذي يملأ المنزل، وكانت تُحاول مقاومة كل الأفكار الحزينة التي تمنعها من الاستمتاع خاصة مشاعر شقيقتها، وقررت أنه يكفي أن تشعر بحزن شقيقتها ولكنها لا ينبغي أبدًا أن تحزن هي أيضًا!

هكذا فكرت وهي تُنهي المهام المنزلية وتتجه لشاطئ البحيرة.. وعلى الشاطئ بدأت تفكر في شيء مفيدٍ قد تفعله لمساعدة صباح كي تتأقلم على الوضع الجديد.. وعندما عادت للمنزل كانت لديها عدة أفكار بدأت في تنفيذها فورًا.

فقد طلبت من العم دهشان أن يصطحب صباح إلى المكان المظلل بالحديقة ويشغلها بلعبة الشطرنج معه تحت الشجرة الكبيرة، وأوصته ألا يتركها تدخل المنزل لأي سببٍ.

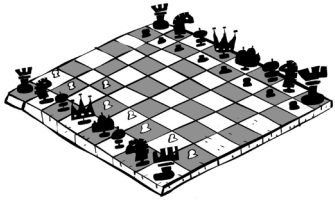

وأسرعت ليلة إلى غرفتها وأحضرت بعض قطع الملابس القديمة التي لم تعد ترتديها، وحرصت على اختيار القطع المتناسقة في ألوانها.. واتجهت بسرعةٍ نحو غرفة شقيقتها.

«هل ستُقيمون مهرجانًا فنيًّا للملابس القديمة؟»، هكذا سألتها الأم عندما رأتها تمرُّ من أمامها في عجالةٍ وهي تحمل الملابس.

أشارت ليلة لأمها ترجوها أن تخفض صوتها، ثم أسرعت إلى غرفة صباح، هزت الأم رأسها في تعجب وابتعدت وهي تبتسم.

في غرفة صباح بدأت ليلة في ربط الملابس معًا بشكلٍ جميلٍ ومبتكرٍ، ثم نادت على والدها وطلبت منه المساعدة كي تعلق الملابس على الحائط على يمين ويسار نافذة صباح. وما أن انتهيا حتى ابتسمت في رضا وقالت: «والآن سأبدأ في الرسم على زجاج النافذة».

قاطعها الأب: «وماذا لو لم يعجب شقيقتك؟ أليس الأولى أن تستأذنيها؟ أو ليس لديك شك أن ما تفعلينه قد يغضبها؟»

سريعًا ما اختفت الابتسامة من وجه ليلة لأنها بالفعل كانت تخشى ذلك.. بل وتخشى من حدوث أمور كثيرة سيئة، لكنها قررت ألا تستسلم للخوف، وقررت أن تضعه جانبًا، كما فعلت مع الحزن.

«إن لم يُعجبها يمكنني أن أزيل آثار كل ما فعلته»، هكذا أخبرت والدها بعد القليل من التفكير.

بدأت ليلة في رسم قمرٍ صغيرٍ ونجوم فضيةٍ على الشباك باستخدامٍ الطلاء، بينما دهنت

باقي الزجاج باللون الأزرق الجميل.

انتهت ليلة بعد وقتٍ طويلٍ مما تفعله، ثم نادت على شقيقتها.

عندما دخلت صباح إلى الغرفة ذُهلت مما رأته..

«يا للروعة.. الليل قد حلَّ في غرفتي!»

للوهلة الأولى اعتقدت صباح أن والدتها سحر قد قامت بعمل تركيبةٍ سريةٍ جديدةٍ لجعل الليل يغزو غرفتها بالتحديد، لكنها عندما رأت ملابس شقيقتها ملطخة بالطلاء، فهمت أنها هي من صنعت تلك الخدعة.

«لقد صنعت لك أيضًا هذا الستار السميك بملابسي القديمة، يمكنك غلقه في أي وقتٍ لتحصلي على ظلام دامسٍ وتنامي بهدوءٍ.. وسأصنع بعد قليلٍ واحدًا لأبي وأمي وواحدًا لي..».

«لكنك تحبين ضوء النهار»، قالت صباح لشقيقتها.

«لكنني أيضًا أحب أن أنام في الظلام»، ردت ليلة.

.....

(١٥)

سار الوضعُ على هذا المنوال، نهارٌ دائمٌ لا ينتهي، ومع ذلك تعامل الجميع مع الوضع ببساطةٍ وبشكلٍ هادئ، حتى صباح صارت تتمتع بالقمر الفضي الصغير الذي رسمته ليلة على زجاج نافذتها، والذي يحوِّل ضوء الشمس العابر من خلاله إلى نورٍ فضي رقيق، وصارت تنام في الظلام الدامس بفضل الستائر الثقيلة التي صنعتها شقيقتها.

أما ليلة فعلى الرغم من حبها للضوء، فإنها قد زهدت به قليلاً مثلما يحدث مع أي شيء يزيد عن الحد، فمهما كان حبنا كبيرًا لأي شيء، فإنه يُسبب لنا الملل إذا أصبح لدينا الكثير منه!

أما العم دهشان فقد قرَّر أن يرحل هو وحماره، فلم يعد يخشى السير في الظلام، ورحل بعد أن ودَّع الجميع وداعًا حارًا.

إلا أن ليلة ومعها صباح قد لاحظتا أن حيوانات المزرعة قد تعبت جدًّا من فرط الحرارة المستمرة، وأصبحت تحتاج للكثير من الماء كي تروي عطشها، ونفس الشيء قد حدث

للزهور والأشجار، حتى العصافير أصبحت غير قادرةٍ على التغريد.

كما لاحظت ليلة خلال زياراتها اليومية للبحيرة، أن ماءها قد قارب على الجفاف.

كل ذلك كان نتيجة لسطوع الشمس الدائم، لدرجة أن الشمس نفسها قد بدا عليها الشيخوخة والوهن من كثرة العمل!

قررت صباح وليلة أن الوضع قد أصبح خطيرًا جدًّا، وقررتا الذهاب لوالدتهما في المختبر لمرةٍ أخيرةٍ.

«أنا سعيدة أنني أراكما مؤخرًا معًا لأوقاتٍ طويلةٍ»، هكذا قالت لهما الأم فور دخولهما.

«نحن سعيدتان أيضًا لذلك، ولكن هل يمكننا أن نطلب.. طلبًا واحدًا أخيرًا؟!»، هكذا ردَّت صباح.

نظرت الأم مستفهمة، فأكملت ليلة قائلة: «هل يُمكننا أن نبقي على الضوء، لكن فقط نجعله لا يستمر إلى الأبد.. فالنهار المتواصل لا يُعطي لنا فرصة الاستمتاع بالليل!».

قاطعتها صباح: «نقصد أننا سعيدتان وكل مشكلاتنا قد انتهت تقريبًا، أو على الأقل يمكننا التعامل معها، لكن سيكون الوضع أفضل لو أصبح الضوء مستمرًّا لشهرٍ واحدٍ فقط، ثم يحل الظلام محله لشهرٍ لاحقٍ»..

«هل تريدين نفس الشيء يا ليلة؟»، سألت سحر.

«في الحقيقة أوافق، لكن فقط ماذا لو استمر الضوء لأسبوع واحد فقط، والظلام كذلك؟

أظن أن ذلك سيكون أفضل»، قالت ليلة.

«هل سيزعجك ذلك يا صباح؟»، سألتها سحر.

«لا أبدًا، فقط أريد أن أقترح أن يستمر الضوء لمدة يوم واحد فقط والظلام لمدة يوم أيضًا، وهكذا!».

قاطعت ليلة قائلة: «عندي فكرة أفضل.. ماذا لو استمر ضوء النهار لنصف يوم فقط، على

أن يُصبح النصف الآخر من اليوم مظلمًا؟!»

قالت صباح: «هل تعنين أن ينقسم اليوم إلى نصفين، نصف مظلم ونصف مُنير؟ يا لها من فكرةٍ رائعةٍ!»

اتسعت ابتسامة ليلة وبدا عليها الرضا، واتسعت كذلك ابتسامة سحر.

«هل اتفقتما أخيرًا إذن؟»

«نعم يا أمي، هذا حل ممتاز جدًّا».. هكذا ردَّت ليلة.

«كيف لم نفكر في هذه الفكرة من قبل؟!»، أضافت صباح.

«أتمنى أن أنجح في إصلاح الأمر بعد كل ما حدث!».

.....

(١٦)

مرَّت أيامٌ مُضيئةٌ، تلتها أيامٌ مضيئةٌ أخرى، حتى نجحت سحر في صنع مسحوقٍ أبيض وآخر أسود، وعندما نثرتهما معًا خارج النافذة، عاد كل شيء كما كان.. تمر ساعاتٌ منيرةٌ

وتليها ساعاتٌ مُظلمة.

صارت صباح تتحمل الضوء وتتشاغل بالأشياء التي تحبها كلعب الشطرنج حتى يأتي الليل..

وأصبحت ليلة تتحمل الظلام وتقضيه وهي تقرأ على ضوء القناديل في غرفتها حتى يأتيها النوم، لينقلها على بساطه السحري لنهار اليوم التالي.

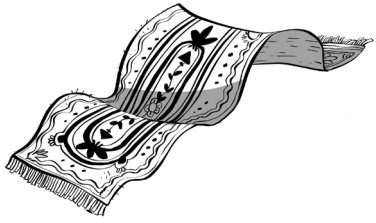

وإن كانت لا تعلم على وجه اليقين إن كان كل ما حدث في الأسابيع الفائتة قد وقع حقًّا، أم أنه قد حدث فقط داخل رأسها، وذلك لفرط غرابته.

وصارت والدتهما سحر تتحمل جدال ابنتيْها وشجارهما الذي يحدث كل بضعة أيام، لكنها لم تعد تتدخل، وأصبحت تعلم أنهما وحدهما ستواجهان أي موقفٍ صعبٍ، وستنجحان معًا

في الوصول لحلولٍ مريحةٍ.

وصار الأب أقل مراقبة للجميع، وسئم من قراءة الأفكار أو محاولة تخيلها! أو هكذا صارت الفتاتان تعتقدان.

أما العم دهشان الذي جاء مجددًا لزيارتهم وقضاء بعض الوقت معهم، فقد فوجئ أن كل شيء قد عاد كما كان، ورأى أن المكان قد أصبح عاديا ومملا جدًّا، بعد أن كان مليئًا بالفوضى والإزعاج اللذيذ!

ولكنه مع ذلك ظل يزورهم كل شهر، ويستمر في قول نفس الأشياء المُسلية، ويضحك الجميع عندما يستمعون إليه، ولكنهم مع ذلك كانوا يُكملون ما اعتادوا أن يفعلوه، ويستمرون في الاستمتاع معًا بتعاقب الضوء والظلام.